

حوليات الجامعة التونسية

العدد التاسع والأربعون

2005

تونس

إحياء التراث الجامعة التونسية

مجلة للبحث العلمي

تصدرها كلية الآداب بجامعة منوبة

الهيئة المؤسسة :

أحمد عبد السلام - الشاذلي بويحيى - منجني الشملي - عبد القادر المهيري -
فرحات الدشراوي - الحبيب الشاوش.

المديرون السابقون :

أحمد عبد السلام - الشاذلي بويحيى - منجني الشملي

المدير المؤول : محمد الهادي الطرابلسي

رئيس التحرير : محمد قوبعة

هيئة التحرير :

منجني الشملي - عبد القادر المهيري - محمد الهادي الطرابلسي - محمد
صلاح الدين الشريف - محمد قوبعة - المنصف بن عبد الجليل -
مبروك المناعي.

ثمان العدد الواحد : تونس عشرة (10) دنانير

سانر البلدان : عشرون (20) دولارا أميركيا

توجه الفصول الى : مدير حوليات الجامعة التونسية

وترسل الطلبات والاشتراقات ومطالب المبادلات الى :

مصلحة النشر والتبادل

كلية الآداب - 2010 - منوبة

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء، ويتحمل كل كاتب مسؤولية ما ينشره فيها
الفصول المخطوطة لا ترجع إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر

جميع الحقوق محفوظة

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

ر . د . م . ك 0099 . 0330

الفهرس

الصفحة

- 11 محمود السعدي
محمود طرشونة
- 21 محمود السعدي في كلية الآداب
محمد الهادي الطرابلسي
- 29 أحمد عبد الوهاب بكير
عبد القادر المهيري
- 33 استرسال الصوت، استرسال الدلالة : مقولة الجمع نموذجاً
الأزهر الزناد
- 75 الأدب عند التوحيدي بين أسر الكاتب وتحرر الناثر
صالح بن رمضان
- 87 وظائف الشواهد في رواية حدث أبو هريرة قال
فوزي الزمرلي
- 111 إشكالية الجنة في رواية "المجوس"
عبد الصمد زايد
- 137 ظاهرة التكرير في العربية : رؤية عرفانية
توفيق قريرة
- 183 شعرية الرسالة الإخوانية من خلال رسالة الهناء لأبي العلاء المعري :
أحمد السماوي
- 209 الرمزية الصوتية الحد والتجاوز
توفيق العلوي

- 245 عقيدة رؤية الله في كلام أبي الحسن الأشعري
محسن التليلي
- 265 نظرية المعنى عند العرب بين النوال التداولي والنوال السيميائي
عبد الجيد العطوانلي
- 297 محنة الهجاء والهجانين في الأدب الأندلسي
بسام البرقاوي

تقديم الكتب ،

- 323 الدين والدولة والمجتمع في مواقف وآثار محمد بيرم الخامس
تأليف : علي الصولي
تقديم : كمال عمران

استرسال الصوّت - استرسال الدلالة : مقولة الجمع نموذجها

بقلم : الازهر الزناد

مقدمة :

يمكن الخوض في مفهوم الاسترسال من منطلقات عديدة ليس من المفروض أن يكون بينها تفاضل في الجدوى والنتائج. فالاسترسال مأخوذاً من حيث هو مفهوم يقبل التعريف والتأريخ لجذوره ولتطوره في مختلف المنظومات الفكرية منذ القديم، كما يقبل البحث في تجلياته في مختلف الظواهر أو الموضوعات وفي علومها المعنية بها. والاسترسال مأخوذاً من حيث هو مفهوم عامل في مختلف العلوم، قابل لأن يحكم له أو عليه في ضوء النتائج النظرية والطاقة التفسيرية التي تكون للجهاز النظري عند اعتماده صريحاً أو ضمناً. والاسترسال من حيث هو مبدأ عامل يمكن أن يشتغل في العلوم صدى لتجلياته في انتظام الظواهر المدروسة ما كان منها مادياً وما كان منها تجريدياً ذهنياً أو اجتماعياً.

ولعلّ ثراء هذا المفهوم بين من خلال نتائجه وما يمكن به كلّ نظرية لسانية من طاقة تفسيرية، دليل ذلك، كما نعرض بعد هذا، أن جميع النظريات والمناويل اللسانية الموسومة بالعرفانية أو المندرجة في

العرفانيات دون وسم صريح، لا تخلو من اعتماده في التحليل صريحا أو ضمنيا، وإن لم يكن من مصطلحاتها المتداولة. وما يزيد هذا المفهوم رسوخا وتأصلا استمراره آليّة في التفكير ونسيجا رابطا بين الأبعاد في المنظومة الواحدة وبين المنظومات في النظام الجامع في مظهرين مادّيّ فيزيولوجيّ في دراسة اشتغال الدماغ البشريّ وذهنيّ تمثيليّ في دراسة العرفان من مختلف المداخل العصبية واللغوية والنفسية الاجتماعية. فإذا كانت العرفانيات عامّة، والعرفانيات اللسانية خاصة، موسومة بكونها ثورة في الفكر البشريّ وإذ لم ينتقض الاسترسال بهذه الثورة، دلّ ذلك على تأصله مفهوما كونيا عابرا لكلّ الثورات.

وقد يمتنع علينا تحديد أوّل عهد لنا بالاسترسال. فقد يعود ذلك إلى أيام الدراسة، زمن كنا نتلقّى دروسا في اللسانيات العامة ونقرأ ما كتب فيها اللسانيون، وقد يعود ذلك إلى ما كان يدور في مختلف اللقاءات التي ينظمها فريق اللغة بالكلية وفي مختلف الندوات التي كانت تقام في الكلية وخارجها. وقد يكون هذا المفهوم - في جميعها - حاضرا، آليّة أساسية من آليات التفسير لا لفظا واصطلاحا. وقد يكون حاضرا لفظا ومفهوما. والتحقيق في ذلك قد لا يفيد شيئا. فالمهم أنّ الاسترسال ظلّ يشتغل في الأعماق فظفا فرضية أساسية من جملة فرضيات أقمنا عليها رؤيتنا لتولّد المعجم العربيّ وانتظامه حروفا أصولا وأبنية اشتقاقية وتصريفية وأبنية إعرابية تداولية في أطروحتنا (الزناد 1998).

نواصل في هذا المقال بالتعميق والتوسيع ما وصلنا إليه من نتائج في الزناد (1998) عامّة وبالخصوص ما ثبت عندنا من توزّع الأصول الأحادية على أحياز يختصّ الواحد منها بدلالة كبرى. وذلك من قبيل اختصاص الشفوية بالتعبير عن مقولة الجمع بما تتضمنه من فروع كالعطف والإصاق والحالية والفصل وغيرها، ومن قبيل اختصاص الأسنانية بالإشارة إلى الحاضر في مجال الإدراك والتفاعل بما تتضمنه من أسماء الإشارة إلى الشّخص وإلى المكان وإلى الزّمان ومن الضّمائر وما جرى مجراها، ومن

قبيل اختصاص الحيز الخلفي (الحنكيّ والحلقيّ) بالإشارة إلى المحايد من الأشخاص والأشياء للتعين أو التنبه أو غير ذلك من المعاني. ومحطّ العناية في هذا المقال مقولة الجمع مقترنة بالأصول الشفويّة من حيث انتظامها وتبلورها وتكوّنها، نذكر ببعض المبادئ التي سطرنا في الزناد 1998 ونوسّع من دائرة النظر باعتماد ما استقرّ في العرفانيّات عامّة وفي الدّراسات العصبيّة العرفانيّة واللّسانيّة العرفانيّة على وجه مخصوص.

والمقال ثلاثة أقسام : أولها للجمع فضاء عرفانيّاً يحكمه الاسترسال في انتظامه (جاكندوف 1987) وآليّة من الآليات المحدّدة لنمط المسح (لانفاكر 1987) وآليّة من آليات التّحديد في الدلالة المعجميّة طالمي (2000) فآليّة من آليات بناء الأفضية الذهنيّة (فوكونياي 1996). وثانيها للمعالجة اللّغويّة (العصبيّة العرفانيّة) القائمة على الاسترسال إنتاجاً وتأويلاً بوجه عامّ ولدلالة أدوات الجمع على الترتيب بوجه خاصّ. وثالث الأقسام فرضيّة في نشأة مقولة الجمع صوتاً ودلالة نقيماً في إطار اختصاص الأحياز النّطقيّة بمقولاتها، وهذا في منظور أعمّ ذي صلة بأصول الملكة اللّغويّة العرفانيّة كما تبلورت في علوم الدّماغ وفي اللّسانيّات.

1 - الجمع فضاء عرفانيّ :

1.1 - في كون الجمع فضاء عرفانيّاً محكوماً بالاسترسال :

يتوقّر في التّحليل اللّسانيّ عامّة وفي المستويين الصّوتيّ والدلاليّ - المعجميّ خاصّة وجهتان : تحليل باعتماد السّمات المفردة (1) وتحليل

(1) تحليل باعتماد السّمات البسطى المفردة التي لا تقبل القسمة simple feature analysis -

باعتقاد القيمة المركزية⁽²⁾. وقد بينت الكثير من الدراسات اللغوية -
العرفانية قصور التحليل السّماتيّ في الكثير من المظاهر، لعلّ أبرزها ذلك
المتعلّق بالتحليل المفهوماتيّ من حيث طبيعة المفهوم ومكوّناته والآليات
العرفانية المشتغلة في تكوّنه عامّة وفي مستوى التّصافح⁽³⁾ الكائن بين
النّظم الحسيّة الإدراكيّة خاصّة من قبيل الإبصار والسمع وغيرهما.

فالتحليل التّفكيكيّ القائم على تصوّر المفاهيم على أنّها جملة من
السّمات الدلاليّة تنتظم بشكل ثنائيّ أو متعدّد لا يفني بوصف المفاهيم
وصفا مناسباً. وظهرت العديد من الدّراسات في ذلك منذ بداية العناية
بالدّالة في المدرسة التّوليدية في السّتينيات من القرن الماضي⁽⁴⁾.

فمن العقبات التي تعترض التحليل السّماتيّ تحديد أشكال الأشياء.
فأقصى ما يمكن توقّره في المدخل المعجميّ المتعلّق بنوع ما من أنواع
الطيّر مثلاً أن يكون حيّاً، لا إنساناً، ذا ريش، بيوضاً، مائيّاً أو بريّاً...
وجميع هذه السّمات وإن طالت وتعدّدت لا توقّر سيّلاً إلى تمييز الطّائر
المعنيّ من بني فصيلته أو جنسه تمييزاً من حيث المظهر والهيئة. فمهما
تعدّدت السّمات سالبة كانت أو موجبة، يظلّ تصوّر المفهوم متكاملًا غير
ممكن.

وقد تبين قصور التحليل السّماتيّ في الدّراسة الصّوتية رغم ما هو
متعارف من كونها أحسن المستويات استجابة له. فقد دأب الدّرس

(2) focal value analysis تمثل القيمة المركزية (أو البؤرية) قيمة تكون للشئ من زاوية
حضورها فيه في أقصى درجات الإدراك والتّصوّر بالقياس إلى سائر الدّرجات أو سائر
الأشياء المنتمية إلى نفس الحقل. فالحمرة مثلاً درجات تعتبر أقصاها قيمة مركزية إذ لا
مجال للاضطراب في اعتبارها حمرة صرفاً. وعلى هذا تنقاس سائر القيم كالأحجام والأبعاد
والأشكال الخ.

(3) interface التّصافح مفهوم جار في العلوم الحوسبيّة والعرفانية واللّسانيّات. وهو مستوى
تمثيليّ يكون فيه الاتّصال بين منظومتين أو مكوّنين عن طريق التّناسب أو التحليل أثناء
الاشتغال.

(4) من أبرز الأعمال في ذلك : Lakoff 1987, Weinreich 1966, Bolinger 1965

الصّوتية⁽⁵⁾ على تمثيل البنية الصّوتية الكامنة في شكل سلسلة من الحزم المشتملة على سمات صوتية سالبة وموجبة. لكن ذلك تغير جزئياً في إطار الصّوتية التفرعية⁽⁶⁾ بنوع من التوسيع تجاوز القصور في التمثيل الخطي ليشمل القطع الصّوتية وما يليها من الظواهر ما فوق المقطعية (نبرة، نغمة، تنغيم) في تمثيل واحد. وكان من أهمّ النتائج في هذا المجال أن تبدل تمثيل البنية الصّوتية من مجرد سلسلة من السمات إلى بنية عروضية سلمية⁽⁷⁾ يتوقّر فيها تحليل مقبول لظواهر النبرة والتنغيم وما إلى ذلك من ظواهر الإيقاع.

ولتجاوز هذا القصور نشأ التحليل القائم على منوال الأبعاد الثلاثية⁽⁸⁾. وقد بين مارّ (Marr 1982) أن الإدراك البصري يقوم على هندسة ثلاثية الأبعاد ذات بنية تتفكك بمقتضاها الأشياء إلى أجزاء وذات نظام هندسيّ ينتظم وفقه توزع الأشياء على محاور الفضاء وتتحدّد في ضوئه العلاقات بين أجزائها. وتوسيعاً لهذا المنوال يقترح جاكندوف (Jackendoff, 1987 chap. 10 & 1992 p. 44) أن تتضمّن المداخل المعجمية (الذهنية) المتعلقة بالأشياء المادية أو الحركات، تمثيلاً قوامه المنوال الثلاثي الأبعاد بالإضافة إلى بناء الصّوتية والإعرابية والمفهومية.

ومن المجالات التي يبين فيها قصور التحليل التفكيكيّ السماتيّ مجال الألوان ودرجات الحرارة والبرودة. وهي مجالات لا يمكن تصوّرها على

(5) الصّوتية التوليدية كما تبلورت في مصنف شومسكي وهال (1968) وما سبقها من أعمال حاكسون وغيره.

(6) Autosegmental Phonology. انظر مثلاً: الزناد (1998) الجزء الثاني.

(7) hierarchical metrical structure: تمثيل ذو مستويات تتحكمها سلمية بدءاً بالقطع الصوتية المفردة فالقطع يضمّ قطعتين صوتيتين أو أكثر فالوعد foot الذي يجمع مقطعا أو مقطعين أو أكثر فالكلمة WORD التي تجمع وتدا أو وتدين أو أكثر. انظر مثلاً (Lieberman and P (1977) rince وأعمال Goldsmith الواردة في التتليوغرافيا من هذا المقال. والزناد (1998) الجزء الثاني.

(8) 3D model. انظر مثلاً (1976) miller and johnson-Laird و (1982) Marr و jackendoff (1987, 1992).

أنها سلسلة من القيم المتفصلة لأنّ قوامها الاسترسال. فالواحد من الألوان أو درجات الحرارة لا يمكن أن ينقسم إلى سمات دقيقة متفصلة. فالكلمات المعبرة عن اللون - مثلا - تتقاسم سمةً حقليةً دلاليةً هي اللون تقترن بفضاء عرفانيّ قوامه طيف من القيم المسترسلة. فالاسترسال خطّيّ على سلّم في حقل الحرارة بدرجاته المتراوحة ما بين أقصى البرودة وأقصى الحرارة، وهو ثلاثيّ الأبعاد في حقل اللون وفق ما يحكم الحامل المادّيّ من أبعاد فيزيائية⁽⁹⁾. فكلّ واحدة من الكلمات المعبرة عن اللون أو الحرارة تمسك بنقطة ما من فضاء اللون أو فضاء الحرارة، فتمثل تلك النقطة القيمة المركزية لتلك الكلمة.

وللقيمة المركزية دور أساسيّ في مقولة الأشياء: إذ يجري تحديد المدرك بناء على موقعه النسبيّ من مسترسل القيم المركزية المكوّنة للحقل الذي يتضمّنه. فإذا ما كان المدرك ذا قيمة قريبة جداً من قيمة الحمرة المركزية في فضاء الألوان - مثلا - اعتُبر أحمر دون إشكال أمّا إذا ما كانت قيمته متوسطة بين الأحمر والبرتقاليّ - مثلا - كان تصنيفه محلّ تردّد يكون التّعويل فيه على السياق تعويلاً كاملاً.

وقد دأب الدرس التحويّ العربيّ على تناول ظاهرة العطف أو الجمع تناولاً فردياً تجزئياً غلبت عليه النزعة المدرسيّة. فكانت العناية منصبّة على تحديد خصائص الأدوات الجزئية من حيث معانيها وعملها وسياقاتها دون الترقّي إلى مستوى جامع يمكّن بالظاهرة الجامعة التي تنتظم مختلف الأدوات المتشابهة المتلاحمة في الأصل. فقد حجبت العناية بالجزئيات المنظومة العامّة التي تسيّر ما يكون في الظاهر شتاتاً لا روابط بين عناصره. ومن الظواهر التي ذابت معالمها العامّة في جزئيات أدواتها المحقّقة لها ظاهرة العطف. فمن المتصوّر المعهود أن لا صلة بين حرفي الجرّ | ب | - | في | وحرفي العطف | و | - | ف | ولا انتباه مطلقاً إلى صلة اسم الإشارة إلى المكان البعيد | ثمّ | بأداة العطف | ثمّ |. وقد أثبتنا

Miller and Johnson - Laird 1976, chap 5.1 : Color (9)

في الزناد (1998، المجلد الأول) ما به تعود جميعها إلى مقولة واحدة يختصّ بها الحيز الشفويّ هي مقولة الجمع مطلقا، وذلك في إطار توجه عامّ يحكم الأصول الأحاديّة في اللّغة العربيّة إلى اختصاص بمقولات حسب الأحياز النطقية. وقد كنّا في جميع ذلك نراعي تناسبا ضرورياً بين البنية والدلالة، ولهذا الأمر لا نرى الصّواب المطلق في ما يذهب إليه جاكندوف من وجوب العزوف عن التحليل السّماتيّ مطلقا إلى تحليل باعتماد القيم المركزيّة. وإنّما نرى أنّ التّوفيق يكون في اعتماد كليهما. لذلك سنعمد في ما يلي إلى تحليل ظاهرة الجمع (الجرّ والعطف) من حيث هي فضاء عرفانيّ متكامل دون الإغراق في التفاصيل، فعملنا المذكور يغنينا هنا عن ذلك.

فإذا تصوّرنا علاقة الجمع فضاء عرفانياً مجرداً (مقولة مركّبة) تتوزّعها قيم مسترسلة انطلاقاً من قيمة مركزيّة تحدّدها نقطة التقاطع أو التّطابق بين عدد من الأبعاد التي تؤسّس الفضاء، وجدناها محكومة ببعدين هما بعد التّواجد أو التّجامع وبعد التّضيد :

أ - بعد التّواجد :

التّجامع تواجده أساسه التّجاور أو التّقارن بوجه ما في مجال عرفانيّ ما. يكون بين وحدتين أو أكثر هما شيان أو حدثان أو هيئتان أو شيء وحدث أو حدث وهينة وما إلى ذلك من وجوه التّوليف الممكنة. والتّجامع مكانيّ فضائيّ في الأشياء وزمانيّ في الأحداث ومجرد في المفاهيم والمتصوّرات. وهو قائم على قيم مسترسلة وفق المسافة الفضائية أو التجريدية بدرجاتها المتردّدة ما بين التّطابق والانفصال. وهي درجات تتحدّد على محور خطّيّ عليه يكون تنضيد العناصر المتواجدة.

ب - بعد التّضيد :

التّضيد توزّع العناصر المتواجدة في المجال وفق الأبعاد الثلاثية (الطول والعرض والعمق)، وهو انتظام يتضمّن محورا يمكن أن يوافق كلا من

الأبعاد الثلاثة هو المحور الخطّي عمودياً كان أو أفقياً. ودرجات هذا المحور مواقع تترتب وفقها الأشياء. وبالتنضيد - حضورا وغيابا - يكون التّواجد منضداً أو غير منضد.

فالتّواجد استرسال على درجات في ضوء ما يكون بين العنصرين من مسافة على المحور الخطّي. وهذه الدّرجات قيم في مقولة الجمع :

أولها درجة التّطابق أو الحلول في نقطة واحدة، بين العنصرين، حيث يغيب البعد الفاصل بينهما في المسافة وفي الزّمان وفي التّصوّر. وإذا لا يحتمل التّطابق تنضيدا كان التّواجد في العربيّة حلولا : حلول الشّيء في المكان أو الزّمان أو الهيئة، وجرى في ذلك حرفا الجرّ المتّصلان بالأصلين الأحاديّين الشّفويّين | ب | و | ف | دون حرفي العطف منهما :

- | | |
|--------------------------|------------------------|
| - زيد في الدّار | - زيد بالدّار |
| - خرج زيد في الصّباح | - ينام زيد بالنّهار |
| - خرج زيد في سرعة | - خرج زيد بسرعة |
| - خرج زيد في ثياب الصّيد | - خرج زيد بثياب الصّيد |

وثاني الدّرجات، درجة يتلاصق فيها العنصران المتواجدان أو يتجاوران أو يتزامنان في تماسّ يظللان فيه متحدّين متفاصلين متّصلين. ويكون هذا التّلاصق منضداً أو غير منضد. فمن التّلاصق المنضد العطف المرتّب على أساس التّعاقب القريب (المهلة القصيرة في الزّمان أو في التّصوّر) ويختصّ بها حرف العطف | ف | :

- دخل زيد فعمر
- دخل زيد فجلس
- ايتني فأكرمك
- ادخلوا واحدا فواحدا.

ومن التّلاصق غير المنضد ما تجرّي فيه [و] من سياقات العطف والمصاحبة (المعيّة) :

- دخل زيد وعمرو
- سار زيد والنهر
- واحد واثنان ثلاثة / اثنان وواحد ثلاثة

وبين التّطابق والتّلابس درجة وسطى تمثّل منتهى لاسترسال القيم في أدنى درجات التّطابق وأدنى درجات التّلابس. نسمّيها اختزالاً درجة المناسبة. ويجري في هذا | و | الحال وحرفاً الجرّ | بـ | و | في | مفيدتين مختلف المعاني المعلومة في العربيّة بما في ذلك الاستعانة وغيرها من المعاني المتجمعة في الإلصاق المستفاد من | بـ | :

- دخل زيد وهو يتسم
- خرج زيد في جماعة من الناس
- خرج زيد بسيفه
- سُجِن زيد في سرقة / خرج زيد في طلب الرزق
- كتب زيد بالقلم

أمّا الدّرجة الرّابعة فقائمة على تباعد ما بين العنصرين المتواجدين المتجامعين تباعداً منضداً (زمانياً) تختصّ به | ثمّ | :

- دخل زيد ثمّ عمرو
- دخل زيد ثمّ جلس

وتختصّ | أو | بالدّرجة الخامسة، درجة الانفصال بين المجموعين :

- دخل زيد أو عمرو
- لأستسهلنّ الصّعب أو أدرك المنى

نجمّل مختلف الدّرجات التي عرضنا كائنة في فضاء الجمع في ما يلي حيث يشير الخطّ المنقط إلى استرسال هذه الدّرجات :

(1)

التواجد					منضد	المحور الخطي
انفصال	تباعد	ملاسة	مناسبة	تطابق		
	ثم	ف : تعاقب السببية				
أو		و : عطف واو المعية	واو الحال في/ب الخالية	في : ظرفية ب	غير منضد	

فحروف الجمع أدوات خطاطات هي عبارة عن التوليفات الممكنة بين القيم المختلفة المكوّنة لمجال الجمع. تنقسم حروف الجمع إلى حروف عطف وحروف جرّ انقساماً يوافق تحديداً أوّل في فضاء الجمع : فقيمة التّطابق يختصّ بها حرفا الجرّ | ب | و | في | جارّين للحلول وهو أقوى درجات الاتصال بين المجموعين. وتختصّ بقيمة الملاسة وما يليها في اتّجاه الانفصال حروف العطف | و | - | ف | - | ثم | - | أو | كلاً بمقطعه من الاسترسال المعروض في الجدول (1). ويمكن أن يخرج الحرف الواحد من مقطعه ذاك بوسائل معجميّة إعرابيّة يبين بها وهى الحدود بين المقاطع وتصلّ الاسترسال في المنظومة اللّغويّة تأصله في الملكة العرفانيّة : فحرف الجمع | و | يمكن أن يجري في بنية تفيد التّطابق بوسائل متنوّعة أو تفيد الترتيب والتراخي :

- دخل زيد وعمرو معا / وعمرو معه

- دخل زيد وعمرو بعده

ولعلّ مثل الجدول المعروض لا يفيد ببعد الاسترسال بدرجاته المتفاصلة المتّحدة في آن لذلك نورد تمثيلاً آخر خطياً في شكله ولكنّه في التّصوّر قرص دائم الدّوران تختلط فيه الحدود وتتداخل :

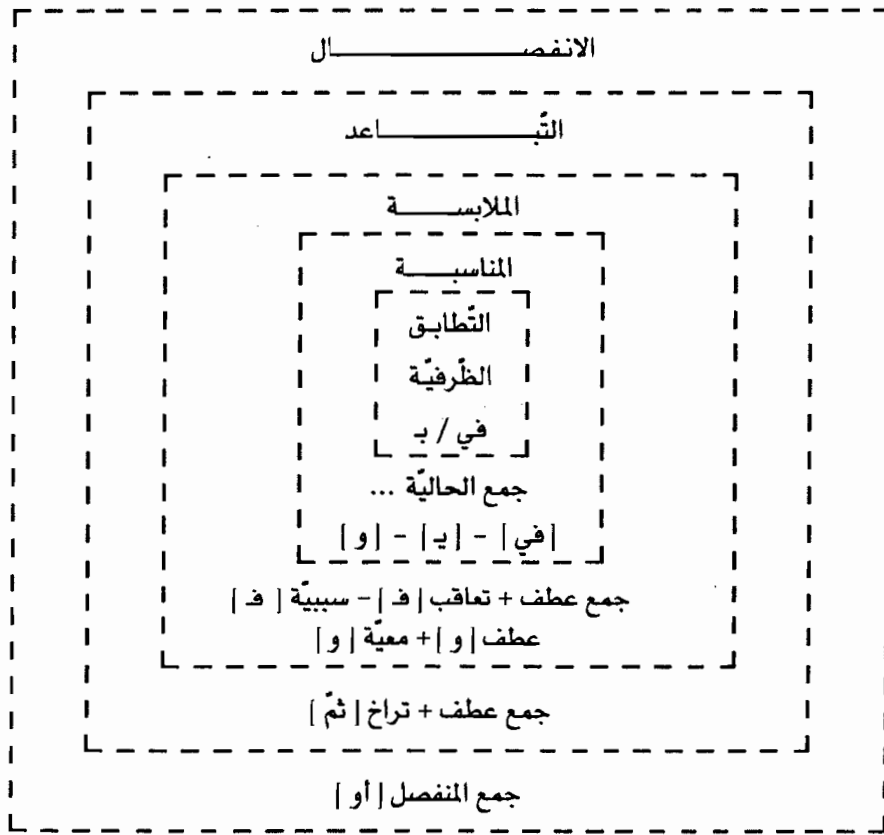
(2)



تمثل النقطتان 1-1 طرفين لمجال التطابق حيث القيمة المركزية في فضاء الجمع والتي بناء عليها يتحدد نوع الجمع بدرجاته المختلفة، ويمثل 2-2 مجال الملابس، و3-3 مجال ما بين الملابس والتباعد، و4-4 مجال التباعد و5-5 مجال الانفصال.

ويمكن التمثيل لمجال الجمع بمختلف القيم كما يلي حيث نشير إلى الحدود بين المناطق المتجاورة المتداخلة بخطوط منقطة علامة على وهما ونسيتها :

(3)



2-1 - في كون الجمع آلية من الآليات المحددة لنمط المسح :

تتفق جميع النظريات اللسانية العرفانية في اعتماد مفهوم الأفضية العرفانية cognitive spaces القائمة على الاسترسال. يقترن كل حمل

(إسناد) بمجال عرفانيّ (Langacker,1987, chap.4) أو أكثر. ويمثّل البحث في طبيعة هذه المجالات من حيث أفرادها وتركبها مشغلا أساسيا في النظرية اللسانية العرفانية. يطلق المجال على كلّ ما تتعلّق به الوحدة اللغوية، وهو يتمثّل في كلّ الوحدات العرفانية من قبيل التجارب الذهنية أو التمثيلات الفضائية أو المفاهيم المفردة أو المركبة.

يقسم لانقار المجالات قسمين : مجالا أساسيا basic domain ومجالا مجردا abstract domain :

المجال الأساسيّ ما لا يقبل القسمة إلى ما أصغر منه وما يستقيم تصوّره مفصّولا بوجه من الوجوه عن سائر المجالات، من قبيل الزمان والمكان والإبصار والألوان وكلّ واحد من الأحاسيس والانفعالات وغير ذلك. تكون المجالات الأساسية في أسفل السلمية من تركيب المفاهيم، فهي الأرضية الأولية البسطى لبناء المفاهيم. ينقسم المجال الأساسيّ إلى جهات region(s) هي عبارة عن مواقع محدودة فيه، من قبيل مجال اللون الذي يتضمّن جهات متعدّدة تمثّلها مختلف الأطياف.

المجال المجرد هو ما كان على درجة ما من درجات التركيب. وبتعدّد الدّرجات في التركيب ينشأ فيها تنضيد تحكّمه سلمية يتحدّد فيها المفهوم وفق موقعه منها على مراتب ذاهبة إلى أدنى الدّرجات حيث المجال الأساسيّ. فالجسد - مثلا - يمثّل مجالا مجردا يتحدّد فيه | ذراع |، وهذا بدوره مجال مجرد ل | يد |، هذه التي تمثّل مجالا مجردا ل | إصبع | وهكذا دواليك.

وتتوزّع المفاهيم الواردة في مجال مجرد توزّعا أحاديّ البعد أو متعدّد الأبعاد : فالزّمان مثلا والطبقة الصوتية ودرجات الحرارة والشبه والأعداد مجالات أحادية البعد تنتظم المفاهيم فيها على خطّ واحد. في حين يقبل مجال المكان الأبعاد الثلاثة. لكنّ بعض المجالات لا تنتظم وفق مقولة البعد - متعدّدا كان أو أحاديّا - من قبيل الانفعال وما سايره من التجارب.

ويكون المجال - من زاوية انتظامه وفق مقولة الأبعاد - محدودا أو غير محدود bounded unbounded. ويكون التحديد من طرف واحد أو أكثر. ففي المجالات الأساسية تكون طبقات الصوت - مثلا - محدودة سماعا وإنجازا أما الزمان والمكان فغير محدودين. ومن المجالات المجردة، مجال حروف الهجاء المحدود من طرفين إذ لا يوجد شيء قبل الهمزة ولا شيء بعد الياء، ومجال الشبه محدود من طرف واحد هو درجة التطابق بين المتشابهين، أما العلاقات الأسرية - مثلا - فلا حد لها إن أخذت من زاوية البعد العمودي.

وفي ضوء انتظام المجالات على أساس الأبعاد بنوعيتها المحدود وغير المحدود تنقسم القيم المكوّنة للواحد منها إلى قيم مسترسلة أو متفصلة discrete, continuous. ويذهب لانقار إلى أنّ الأبعاد في المجالات الأساسية مسترسلة في الأغلب، وخلافا لها تكون في المجالات المجردة متفصلة بل يمثل هذا التفاضل سمة من سماتها الأساسية. فمجال العلاقات الأسرية ومجال حروف الهجاء- مثلا- قائمان على التفاضل إذ لا توجد قيم تتوسط بين الوالد والمولود أو بين حرفين. فهذان نموذجان للمجالات ذات البعد الأحادي، القائمة على التفاضل، المحدودة حداً كاملاً.

يتجلى مفهوم الاسترسال عند لانقار - وإن بشكل آخر - في الأسس المفهومية التي بها يتحدّد الانتماء المقوليّ (قسم النحو) لعبارة ما. ويرى في دلالة الوحدة المحدّد الأساسي للمقولة : فالعبارات قسمان : قسم الأسماء وقسم العبارات العلائقية. الاسم كلّ عبارة تدلّ على [شيء] . والشئ منطقتة في مجال ما. العبارات العلائقية ما يدلّ على عمليات process أو علاقات لازمانية atemporal relations.

تضمّ العبارات العلائقية قسمين أساسيين هما:

- الفعل : ما يدلّ على عملية : حدث يتصوّر أو يلتقط في تتابع أبعاضه.

- عبارات تدلّ على العلاقات اللازمانية : الصّفات والمبنيّات والحروف
والمشتقّات والصيغ غير المصرفة زمانياً infinitives.

ويميّز لانقار بين العمليّة والعلاقة اللازمانية معتمدا الفرق في نمط
المسح . وهو نوعان مسح تتابعيّ sequential scanning ومسح مجمل
..summary scanning

المسح التّابعيّ نمط في المعالجة processing يكون عند مشاهدة
صورة متحرّكة - مثلا - أو كرة وهي تطير في الفضاء
(Langacker, 1991, 294). فالأوضاع المتعاقبة التي تكوّن الحدث المدرك
تثار سلسلياً وآنيّاً. حيث يبدأ الوضع الواحد حالما ينتهي سابقه وينتهي
حالما يبدأ لاحقه. فمتابعة الحدث تكون بامتداد أوضاعه المتعاقبة وهو
يجري مسترسلا.

أمّا المسح المجمل فهو نمط في المعالجة يكون عندما يعاد بناء الحدث
كاملا بناء ذهنيّاً : كأن تتصوّر مشهد الكرة وهي تعبر الفضاء من حيث
مسلكها والخطّ المنحنيّ الذي تتبعه بدرجاته المختلفة وارتفاعه وسرعته
إلخ. فجميع الأوضاع تثار في المسح المجمل متتابعة ولكن بشكل تراكميّ.
أي أنّ الوضع الواحد عندما يثار يظلّ قائما إلى منتهى الحدث كاملا.
فجميع الأوضاع في المسح المجمل متزامنة بوجه يستوي فيه الحدث كلّاً
إدراكياً.

وعلى هذا الأساس يفرق لانقار بين عبارتين تعودان إلى أصل واحد
ولهما معنى واحد دون اعتماد المفهوم المدلول بهما عليه. فالفرق بين
<عبر> الدالّة على علاقة لازمانية، مثلا، والفعل <عبر> لا يعود إلى
مكونات المفهوم في ذاته. وإنّما يعود إلى اختلاف في نمط المسح في
الواحد منهما، وهو مسح مجمل في الأوّل، تتابعيّ في الثاني :

- وصل زيد عبر الصّحراء

- عبر زيد الصّحراء

ويمكن أن تمثل أدوات الجمع (حروف العطف وحروف الجرّ) العائدة إلى أصول أحاديّة شفوويّة وسائل في العربيّة يتحدّد بها نمط المسح. ولعلّ أبرز نموذج لذلك هو أداة | و |، ولا يمثل ذلك مصادفة فهي أمّ الباب من حيث أفادت مطلق الجمع :

إذا أجرينا مقارنة بسيطة بين قسمين من حروف الجمع بعضها بديل لبعض في إفادة نمط المسح - في مفهوم لانقار - وجدنا أنّ مجالها هو ما يسمّى بالمعيّة والحاليّة في النحو العربيّ. حيث تختصّ | و | المعيّة و | و | الحال بالتعبير عن المسح التّابعيّ ويختصّ بديلاها فيهما بالمسح المجمل كما يظهر من المجموعتين التّاليتين (أ) و (ب) :

(1) - مسح تتابعيّ

(2) - مسح مجمل

أ - سار زيد والنهر

ب - استوى الماء والخشبة

ب - استوى الماء بالخشبة ؟ !

ج - خرج زيد وهو يسرع

ج - خرج زيد بسرعة

ج - خرج زيد في سرعة البرق

من البيّن أنّ صيغ الأفعال هي نفسها في مختلف الأزواج المتقابلة من المجموعتين، فنمط المسح في مستوى العبارات الفعلية واحد هو مسح تتابعيّ. يعود ذلك إلى طبيعة البنية الفعلية نفسها وما يتّصل بها من المشتقات من حيث دلالتها. لكنّ بين المجموعتين فارقا أساسيا : يثبت نمط المسح التّابعيّ ويصبح مدلولا أساسيا مركزيا في الجمل الواردة في (1) بحضور | و | مفيدة المعية والحالية. لكنّ المسح التّابعيّ المدلول عليه بالأفعال من العبارات الواردة في (2) يكاد يغيب بل يتحوّل إلى مسح مجمل بحضور حرفي الجرّ | ب | و | في |. فالسير والاستواء والخروج في (1) جميعها كأنّ على مقاطع متتالية مسترسلة، يتعزّز نمط المسح هذا بما يفيد المركّب الوارد متمّما للواحد منها بمكوّنيه الواو والعبارة بعدها. لكنّ الاستواء والخروج في (2) يجري تصويرهما على أنّهما حادثان دفعة واحدة مجملان.

ولعلّ هذا الفارق يعود إلى موقع كلّ أداة من أدوات الجمع الثلاث من مجال الجمع. فحرفا | ب | و | في | يقعان في قلب الرّحى منه، هي درجة التّطابق بين المجموعين أي القيمة المركزيّة فيه. فيكون الجمع بين الاستواء والخشبة (2 - ب) وبين الخروج والسّرعَة (2 - ج) جمعا يتطابق فيه الحدّان فينتفي المسح التّابعي ويكون المسح مجملا.

أمّا | و | فواردة في درجة الملابس بما تحتمله من تفاصيل بين المجموعين، ومدخل التّفاصل هذا به نفسّر ثبوت المسح التّابعي وبروزه. فالاستواء والخشبة، ثمّ الخروج والسّرعَة زوجان من المفاهيم جُمع طرفا الواحد منهما - في العبارة - جمعا يحفظ تفاصلهما ويبقي عليه.

1-3 - في كون الجمع آليّة من آليّات التّحديد :

يدرج طالبي (Talmy,2000) في نظام تشكّل الأشياء في مختلف المجالات (الزّمان والمكان وغيرهما) مقولتين مترابطتين تهّمان الاسترسال بوجه من الوجوه هما مقولة حال التّحديد ومقولة حال القسمة :

تتضمّن مقولة حال التّحديد مفهومين هما التّحديد وعدم التّحديد state of boundedness, unboundedness. فالكميّة غير المحدودة كمّيّة متواصلة لا تتضمّن سمة الانتهاء وعلى خلافها تكون الكميّة المحدودة. وتنقسم الوحدات المعجميّة في ضوء ذلك إلى وحدات دالّة على كمّيّات محدودة وأخرى غير محدودة. كما يجري بوسائل نحويّة تحويلُ الوحدات المعجميّة من حال التّحديد إلى عدمه أو العكس، فتندح بعملية التّحويل من حال غير المحدود إلى المحدود عملية عرفانيّة قوامها التّحديد أو اقتطاع قسم من كلّ غير محدود يتحوّل بمقتضاه ذلك القسم إلى كمّيّة محدودة واقعة في مركز العناية focus of attention. يكون ذلك بأدوات من قبيل | بعض | جارية على الأسماء و | من/إلى | جارين - أحدهما أو كلاهما - على الأحداث.

أمّا مقولة حال القسمة state of dividedness فتتعلّق بالتّقطيع الداخليّ من الكميّة. تُعتبر الكميّة مركّبة أو متفصلة الأبعاض (داخليّا)

composite, (internally) discrete كلما تضمّنت حدودا ومقاطع أو كسورا في مكوناتها. وتعتبر الكميّة مسترسلة (داخليًا) - (internally) continuous كلما كانت على خلاف ذلك. وتتوزع الوحدات المعجميّة والتحويّة في ضوء ذلك إلى قسمين : قسم مركّب الأبعاد متفاصلها من قبيل الـ | رمل | في الأشياء والـ | تنفس | في الأحداث وقسم مسترسل من قبيل الـ | ماء | في الأشياء والـ | نوم | في الأحداث. وتتوفّر وسائل ينتقل بها تصوّر المفهوم من مسترسل إلى مركّب متفاصل والعكس صحيح. فمن الأوّل أدوات أو مركّبات تسم المفهوم بكونه تجمّعا لعدد من الأبعاد الكثيرة كما في | هباءات الماء |، ومن الثّاني أدوات أو مركّبات تسم المفهوم المتفاصل بكونه كتلة واحدة مسترسلة كما في | كتيب من الرّمل | أو | نام زيد ساعة | وما شاكل ذلك.

وتتقاطع المقولات الأربع (المركّب والمتفاصل، المحدود وغير المحدود) في المفاهيم القائمة على التعدّد multiplex من حيث كمّها. فيكون من المتعدّد أربعة أنواع :

أ - المتعدّد المتفاصل غير المحدود: يكون في الأشياء من قبيل | رمل | و | أثاث |، ويكون في الأحداث من قبيل الـ | تنفس | والـ | خفقان |. فالرّمل والأثاث متعدّدان في المكونات دون تحديد للكمّ ومكوناتهما متفاصلة هي حبّات الرّمل أو قطع الأثاث. وكذا التّنفس والخفقان متعدّدان في أبعاضهما، متفاصلان فيها إذ تنقسم عمليّة التّنفس إلى شهيق وزفير، والخفقان إلى جيئة وذهاب على وتيرة معلومة. وكلاهما غير محدود إذ لا يتضمّنان حدّا تنتهي عنده الحركة.

ب - المتعدّد المسترسل غير المحدود : يكون في الأشياء من قبيل | ماء | وفي الأحداث من قبيل | نوم | و | سير |. فالماء متعدّد في تكوّنه مسترسل الأبعاد لا تفاعل بين أجزائه ولا تتضمّن عبارة | ماء | حدّا للكميّة. وكذا النّوم عمليّة متعدّدة لا تفاعل بين أبعاضها ولا حدّ لها.

ج - المتعدّد المتفاصل المحدود من قبيل | عائلة | في الأشياء وال | صلح | في الأحداث. فالعائلة تتضمّن أفرادا متفاصلين وهي محدودة في مستوى ما، وكذا تساقط الشّعْر من على الرّأس (صلح) عمليّة قائمة على التّعدّد تعدّد الشّعرات المتساقطة، والشّعرات متفاصلة، وهي عمليّة محدودة بكميّة الشّعْر.

د - المتعدّد المسترسل المحدود : يكون في الأشياء من قبيل | بحر | وفي الأحداث من قبيل ال | إ فراغ |. فالبحر متعدّد في أبعاضه لا تفصل بينها وهو فضاء محدود (مطلقا أو جغرافيا). وكذا الإ فراغ عمليّة تقوم على التّعدّد في الموضوعات، مسترسلة محدودة بما يتمّ إخراجها من الإناء المحتوي (الماء وغيره).

وإزاء المتعدّد يكون المفرد في الأشياء والأحداث من قبيل | شجرة | و | غلّق | وما إلى ذلك.

نجمل في ما يلي توزع الوحدات المعجميّة وفق المدخلين : حال التّحديد وحال القسمة :

(4)

حال التّحديد			
غير المحدود		المحدود	
المسترسل	إبحر - إ فراغ	إ ماء - سير	المتعدّد
المتفاصل	إ عائلة - صلح	إ رمل - خفقان	(المركب)

وقد عني طالبي في هذا السّياق بما به يكون تحويل المفهوم من صنف إلى آخر ضمن الشّبكة المعروضة، وبما يصحب ذلك من عمليّات عرفانيّة في المعالجة تكون في العادة على عدد من المحطّات. ومن وسائل هذا التّحويل التّحويليّة أبنية الإفراد والتّثنية والجمع وما تتضمّنه من اسم المرّة واسم الواحدة في العربيّة. ومن وسائله كذلك الوحدات المعجميّة المفيدة للتّجزئة من قبيل | بعض | و | كلّ | و | جلّ | وما إليها. وقد

لاحظنا إهماله لوسائل الجمع (حروف العطف، وحروف الجرّ)، ونعتقد أنّها ذات دور مهمّ في هذا التحوّل كما يبيّن.

قد لا يكون هذا الدور موكولا رأسا إلى بنية الجمع (الجرّ والعطف)، وإنّما إلى بنية أوسع تتضمّنهما من قبيل بنية الحال أو البدل وما إليهما، وقد يكون للوحدات المعجميّة الجارية في بنية العطف أو في ما تندرج فيه من الأبنية الحاضنة لها، ولكنّ ذلك لا ينقص من دورها.

ففي المثال : تناول زيد الدّواء.

يجري فعل | تناول | على حدث مسترسل غير محدود، و| الدّواء | شيء مسترسل محدود. يمكن أن يتحوّل الحدث | تناول | إلى حدث متفاصل محدود كما في :

- تناول زيد الدّواء جرعة (0 / و / ف / ثم) جرعة.

ويمكن أن يتحوّل | الدّواء | إلى شيء متفاصل غير محدود كما في :

- تناول زيد الدّواء حبة (0 / و / ف / ثم) حبة.

وفي المثال : باع زيد القمح.

يمثّل البيع حدثا مفردا محدودا، والقمح شيء متعدّد متفاصل غير محدود. يمكن أن يتحوّل البيع إلى حدث متعدّد غير محدود والقمح إلى شيء متعدّد متفاصل محدود، وذلك بوسائل عديدة بعضها معجميّة وبعضها إعرابيّة، كما في ما يلي :

- باع زيد القمح الرّطل بدينار

ونفس الأمر في المثال التّالي : وصل الجماعة زيد (و / ف / ثم) صالح
(و / ف / ثم) عليّ

ويعتمد طالبي (Talmy, 2000, 61-62) مقولة خطاطية⁽¹⁰⁾ أخرى في نظام تشكّل الأشياء هي مقولة درجة الامتداد degree of extension وهي مقولة معازلة لمقولة حال التّحديد. يهّم الامتداد البعد الخطّي في تصوّر المفاهيم المدلول عليها بالعناصر العجميّة وما يمكن أن يؤول إليه في حال الجريان في مركّبات أوسع. ويجعل لهذه المقولة فروعا ثلاثة على عدد الدّرجات المتصوّرة في الامتداد على محور خطّي. هي النّقطة point والامتداد المحدود bounded extent والامتداد غير المحدود unbounded : extent

أ - النّقطة : تكون في الأشياء من قبيل | حبة | و | نقطة | و | ثانية | وفي الأحداث من قبيل ال | كسر | وال | غلق | وغير ذلك.

ب - الامتداد المحدود : يكون في الأشياء من قبيل | سلّم | و | شهر | وفي الأحداث من قبيل ال | سمر | وال | مبيت |.

ج - الامتداد غير المحدود : يكون في الأشياء من قبيل | نهر | و | طريق | وفي الأحداث من قبيل ال | ذهاب | وال | طيران | وغير ذلك.

ولأدوات الجمع (الجرّ والعطف) طواعية كبيرة في تصريف درجات الامتداد وتحديدتها سواء تعلّقت بالأحداث أو بالأشياء. وأكثر هذه الأدوات طواعية ال | و | جارية في جميع وجوهها. نكتفي في ما يلي بالإشارة إلى بعض من هذه التّصارييف.

يمثّل ال | سير | - مثلا - عمليّة ممتدّة غير محدودة في المطلق، فإذا كانت الحاجة إلى تحديدها ترشّحت لذلك العديد من الآليات النّحويّة التي تحدّد المنطلق و/ أو المنتهى باستعمال | من | و/ أو | إلى | أو | حتّى | وغيرها من الأبنية الصّالحة لتحديد الزّمان والمكان والغاية ... إلخ. ومن

(10) schematic. تمثّل الخطاطة schema مصطلحا جاريا في الدّراسات اللّسانية العرفانيّة على البنية المطلقة المجرّدة التي تتشكّل وفقها الأبنية اللّغويّة (الصّوتيّة والصّرفيّة وغيرها) والأبنية المفاهيميّة في مختلف الحالات العرفانيّة من قبل الزّمان والفضاء وما شاكلهما.

هذه الآليات الـ | و | عاطفة ومفيدة للمصاحبة في العربية كما في ما يلي :

- سار زيد والحائط

- سار زيد والنهر

فالسّير حدث ممتدّ غير محدود في ذاته، ولكنّ امتداده يتحدّد بامتداد الحائط في المثال الأوّل، وبامتداد النهر في الثاني. والامتداد في السّير مقترنا بالحائط دون الامتداد فيه مقترنا بالنهر. فالمكوّن المنسوب الوارد بعد | و | بما يتضمّن من درجات الامتداد محدّد لدرجة الامتداد في الحدث، فهو متمّم للرأس من حيث يحدّد امتداده وذلك مدخل النصب فيه. ولكن لم ترشّحت | و | دون سائر أدوات الجمع لتجري في هذه البنية ؟

يتبيّن ذلك من خلال انتظام أدوات الجمع في فضاء الجمع بمناطقه المسترسلة من قيمة التّطابق أو الحلول المركزيّة إلى قيمة الانفصال كما عرضنا في (3). فالجمع بالواو بين عنصرين متساويين كائن في أقصى درجات الملابس ومظهره الإعرابيّ متحقّق في التّبعيّة أمّا الجمع بها بين عنصرين غير متساويين فكانن في أدنى درجات الملابس وفي بداية درجات التّباعد والانفصال، ومظهره الإعرابيّ متحقّق في انتصاب ما بعد الواو (11). فإذا ما اعتبرنا مشهد السّير كائنا من زيد مزاولا الحائط أو النهر مجالا عرفانياً تتوزّع فيه العناصر المشاركة وفق الأبعاد الثلاثيّة، وبعد التّنقل، إذا ما كان ذلك، كان العروض الرئيسيّ متمثّلا في المحدث | زيد | والعروض الثانويّ متمّ ثلا في | الحائط | أو | النهر |. ومثّل المحدث | زيد | المنتقل trajector ومثّل | الحائط | أو | النهر | المعلم landmark الذي تتحدّد بناء عليه حركة المنتقل واتّجاهها وما إلى ذلك

(11) هو ما أطلقنا عليه الجمع الخلافيّ ويتضمّن عموما أبنية الجمع التي ينتصب فيها العنصر الثاني مثل بنية المعية والفاء السببيّة وأو الناصبة. انظر الزناد 1998.

مما يكون مفيدا في تصوّر المشهد. وإذا كان المعروض الثانوي والمعلم في موقع دون موقع المعروض الرئيسي وموقع المنتقل في المعالجة العرفانية وجب أن يتوقّر في البنية اللغوية ما يفيد ذلك التّضيد. فكانت | و | دون سائر الأدوات بحكم ما تختصّ به من جمع لأدنى ملابسة وكان النّصب في ما بعدها بحكم كونه في مرتبة المفعول المتّم.

1-4 - في كون الجمع آلية من آليات بناء الأفضية الذهنية :

تقوم نظرية الفضاء الذهنيّ Mental Space Theory كما تبلورت في أعمال فوكنيابي (Fauconnier 1979,1985,1988,1996) على البحث في العلاقة الكائنة بين النّحو والبنية العرفانية. فهي نظرية تبحث في آليات المعالجة العرفانية الجارية أثناء الخطاب، متوسّلة بالبنية اللغوية جارية في الاستعمال بما يوجّهها من عناصر نحوية و تداولية طريقا إلى البنية العرفانية. فمن المسلّمات الأساسية فيها أنّ البنية اللغوية تمثل الأشياء في الكون كلاً بخصائصه وبعلاقاته تمثيلاً مباشراً، وتبعاً لذلك تعكس بدقة مظاهر الآليات العرفانية التي يكون بها معالجة التجربة بناء وتحليلاً. ويتمثل هدفها الأساسي في إقامة منوال نظريّ في بناء المعنى بفعل ما تقتضيه الأبنية اللغوية وملابسات القول (المقام والسيّاق) وما يخترنه المتكلّم من عوالم معرفية ثقافية (الخلفيات المعرفية) وما يندرج في العوامل التداولية عامّة (Fauconnier,1996,10).

تقيم كلّ جملة أو عبارة تظهر في موقع ما من مواقع القول مجالا جديداً⁽¹²⁾ وتتضمّن مركّبات (وحدات لغوية) وظيفتها بناء فضاء ذهنيّ من قبيل التواريخ أو أسماء الأمكنة أو الأشياء وغيرها. يتوسّل المتكلّم بأدوات بناء الأفضية الذهنية لاستدراج سامعه إلى بناء فضاء ذهنيّ جديد. وبتعدّد المجالات تتعدّد الأفضية الذهنية وتتعدّد وجوه ترابطها بأدوات الرّبط connector(s). تؤدّي الرّوابط دوراً أساسياً في قيام القول إذ تضمّن الاسترسال الإحاليّ بين مختلف أجزائه بصورة تحقّق وحدته

(12) new domain المجال : ما تضمّن معلومة أو أكثر بصورة مرتبة عن موضوع ما.

المرجعية كما تضمن توزع المضمون الإخباري توزعاً منظماً يقترن فيه العنصر الواحد من الفضاء الذهني بأطر وخصائص مميزة.

فالمبدأ الأساسي في نظرية الفضاء الذهني قوامه أن المتكلم عندما يفكر ويتكلم في آن إنما ينشئ أفضية ذهنية، بينها ويرتبطها، ويربط بينها متبعا مقتضيات النحو والمقام والثقافة. وإذا تعدد العوالم تنشأ بينها شبكة تمثل مسالك تتبع بتقدم القول وانفتاحه شيئا فشيئا. وبهذا التعدد يكون الفضاء الأول فضاء أساسياً يولد فضاء جديداً، ويمكن أن يتصل ذلك بوجوده في التولد والتنضيد متعددة.

وقد يطول الحديث عن دور أدوات العطف روابط بين عوالم ذهنية في النصّ والجملّة، في هذا المقال، ونحيل القارئ على الزناد (1993) حيث حللنا ذلك بإسهاب.

2 - في المعالجة اللغوية : الاسترسال في الإنتاج وفي التأويل :

تعود العناية بالأسس العصبية في النشاط اللغويّ إلى أعمال بروكا وأعمال فرنيك في وصف العاهات اللغوية. وكانت أعمالهما منطلقاً لوضع ما يطلق عليه خارطة الدماغ تبين عن مختلف المراكز بوظائفها اللغوية الخاصة بالواحد منها أو المشتركة بين بعضها.

وكانت دراسة الآليات العصبية في المعالجة اللغوية في المنطلق قائمة على تحديد وظيفة العضو أو المكوّن في الدماغ باعتماد تعطّلها. فغياب الوظيفة مقترن بتلف في موقع ما، وهذا سند كاف لتحديد موقعها. ثم بتطور وسائل البحث أمكن وصف الدماغ السليم، ودراسته حال اشتغاله فنشأ شيئا فشيئا ما يعرف بأطلس الدماغ أو الخارطة العصبية التي تحدد مختلف المراكز والجهات بوظائفها الفردية المحدودة أو الجماعية التأليفية المشتركة. وكان من أبرز النتائج في هذا أن ما كان يؤخذ على أنه مركز أو مراكز للغة إنما هو في الواقع منتهى تلتقي عنده مسالك عصبية

مختلفة تحمل إشارات متنوّعة، وليس محلاً فضائياً تحلّ فيه الملكة اللغوية.

ولعلّ التصوير العصبيّ neuroimaging يمثّل واحدة من أنجع التقنيات في رصد الوظائف المختلفة التي تتوزّعها مختلف الأبنية في الدماغ. فقد اعتمدت هذه التقنية ما يعرف ببعدها التكلفة الاستقلابية للعرفان metabolic cost of cognition حيث ثبت التناسب بين مستوى النشاط الاستقلابي⁽¹³⁾ ومستوى المعالجة العرفانية في الواحدة من أبنية الدماغ. فارتفاع النشاط الاستقلابي في بنية ما مقترن بدورها الرئيسيّ في المعالجة ونزوله مقترن بدور ثانويّ أو معدوم.

والحاصل أنّ كلّ عملية لغوية تتحقّق باشتغال نظم في الدماغ عديدة اشتغالا محكوما بالتناسق، وليس الأمر مقصورا على مركز دون آخر. فما كان يعتبر مركزا ذا وظيفة لغوية محدودة إنّما هو في الواقع مكوّن من مكونات المعالجة يساهم في تحقيق عملية لغوية تتوزّعها أبنية دماغية عديدة في آن.

وقد قامت نظريات عديدة في تفسير الآليات التي يكون بها إنتاج القول وتأويله (فهمه) باعتماد التعامل الذي يكون بين العمليات العرفانية والمعرفة اللغوية عند الإنسان. ومن الثابت أنّ إنتاج القول وفهمه يقتضيان ثلاث ركائز: عرفانية ولغوية وتواصلية (Bock, K. and Garnsey, S. M.1998):

تتمثّل الركيزة العرفانية في العمليات الأساسية أو الأولية الدنيا في الأنشطة العصبية الحركية والإدراكية. فعلى المتكلّم أن يستحضر العناصر

(13) الاستقلاب وكذلك الأيض، التطور، الاستحالة مقابلات لـ métabolisme. وهو جملة العمليات الكيميائية التي تحدث في الجسم. وهو نوعان استقلاب تفكيكيّ catabolique يجري فيك تفكيك المواد المركّبة إلى بسيطة يصحبه عادة توليد للطاقة. واستقلاب تركيبّيّ anabolique يجري فيه تكوين المواد المركّبة من مواد بسيطة مثل صناعة البروتينات من الحوامض الأمينية يصحبه عادة استهلاك للطاقة الناتجة في الاستقلاب التفكيكيّ.

اللغوية من الذاكرة وأن ينتجها في شكل أصوات متقطعة متتابعة يلتقطها السامع ويؤولها التأويل المقبول.

وتقوم الركيزة اللغوية على اقتران المعنى بالحامل الصوتي اقترانا واحدا في إنتاج القول وتأويله، يوافق مقتضيات النحو المسير للغة.

أما الركيزة التواصلية فقوامها ما يقتضيه حصول المعنى حصولا جيدا من اتصال بين القول والمحيط. فيكون القول - مثلا - مرتكزا على ما يعلمه السامع بما في ذلك ما يعرف عن مكلّمه. فالمتكلم يراعي الإطار المرجعي المتوفر عند سامعه لإنجاح التواصل.

فمن العمليات العرفانية في إنتاج القول عملية الاستحضار بمظهرها الدلالي والصوتي. يمثل الاستحضار الركن الأساسي في العمليات العرفانية في إنتاج القول. فالقول يقتضي استحضارا سريعا جدا للوحدات المعجمية من المعجم الذهني. وبين الاستحضار والتواتر تناسب ثابت، فاستحضار التواتر من الكلمات سريع سهل واستحضار النادر بطيء قد يتعطل. ويتوقف الاستحضار في أحوال عديدة منها أن تكون الكلمة على طرف اللسان، يحضر معناها وبعض سماتها النحوية دون شكلها الصوتي فيمكن وصف دلالتها أو تقديم بعض خصائصها النحوية ويتعطل إنجازها الصوتي (Vigliocco et al. 1997). فمعرفة الكلمات معرفة مجزأة متقطعة، وأستحضار هذه الأجزاء مسترسل. فقد أثبتت الدراسات المخبرية الوصفية أنّ خصائص الكلمات الدلالية والإعرابية والصوتية يقوم استحضارها على التتابع السريع لا على التزامن. فالإشارات الإلكترونية فيزيولوجية المقترنة بعمليات الاستحضار الدلالي تسبق الإشارات المقترنة بعمليات الاستحضار الصوتي بحوالي مائة مئليثانية (van Turenout et al. 1997). واستحضار الكلمة ونطقها قد يبدو عملية واحدة متكاملة ولكنه في الواقع عملية تجميع معقدة لعدد من السمات المتميزة المتعاقبة والمتداخلة. وهي عملية سريعة جدا، وسرعتها هذه هي ما يوحى بأحاديتها.

تمثل الحقائق العرفانية العصبية الفيزيولوجية المعروضة قبل هذا إطاراً عاماً للخوض في قضايا لغوية شتى. يعيننا منها - في سياقنا هذا - ما يتصل بظاهرة الجمع مطلقاً وبها جارية بحروف الجمع من الحيز الشفوي خاصة. وأخصّ من ذلك ما ينضوي في الجمع - عملية عرفانية - من قضايا الترتيب، ترتيب العنصرين المجموعين.

2-1 - في دلالة | و | على الترتيب :

من المعلوم أنّ حروف الجمع متميزة من حيث دلالتها على الترتيب، حضوراً وغياباً، ومن حيث وجوه فيها إن حضر. فالواو لمطلق الجمع يستوي العنصران المجموعان بها في الترتيب. ومقابلها | فـ | و | ثم | دالّين على ترتيب المجموعين بتعاقب في الأوّل وتراخ في الثاني. أمّا | أو | فلا ترتيب فيها لقيامها على الانفصال بين المجموعين. وإذ جعلنا حرفي الجرّ | بـ | و | في | من حروف الجمع وجب البحث في دلالتها على الترتيب. فكلاهما للجمع على الظرفية، مطلقة واسعة في مفهوم الإلصاق المقترن بالحرف | بـ | ومحدودة ضيقة في | في |. ولعلّ المتداول من المعارف يخفي حقائق الأشياء. ولعلّ بناء الأحكام اللغوية على محصل الحكم في القول يطمس الكثير من تلك الحقائق. من ذلك أنّ المجموعين بمختلف حروف العطف يتساويان في الحكم، ويتساويان في المرتبة بـ | و | و | أو |.

فمن التحليلات المتداولة في قولنا | وصل زيد وعمرو | أنّ الوصول كان منهما، وأنّ الحكم⁽¹⁴⁾ لا يتضمّن ترتيباً صريحاً. ودليل ذلك أنّك يمكن أن تقلب الترتيب اللفظي ولا يتغيّر المعنى. ولكنّ الواقع خلاف ذلك.

فالمكوّن الوارد في اللفظ أولاً يتقدّم في الترتيب على لاحقته في المجال العرفاني. يبين ذلك من خلال النماذج التالية حيث تتقابل الأزواج من المجموعتين (1) و(2) تقابلاً ثنائياً :

(14) الواو. لا توجب إلا الاشتراك بين شيئين فقط في حكم واحد وسائر حروف العطف توجب زيادة حكم على ما توجبه الواو. (شرح المفصل 90/8).

(1)

أ - الدولار بدينار

ب - فكرة واحدة في فقرة واحدة

ج - زيد كالأسد

د - واحد واثنان ثلاثة

هـ - وصل زيد وعمرو

و - وصل زيد فعمرو

ز - وصل زيد ثم عمرو

ح - وصل زيد أو عمرو

(2)

أ - الدينار بدولار

ب - فقرة واحدة في فكرة واحدة

ج - الأسد كزيد

د - اثنان وواحد ثلاثة

هـ - وصل عمرو وزيد

و - وصل عمرو فزيد

ز - وصل عمرو ثم زيد

ح - وصل عمرو أو زيد

فالدولار بضاعة تشتري بالدينار في (1 - أ) وهو عملة يشتري بها الدينار في (2 - أ). والواحد قيمة حاصلة ينضاف إليها الاثنان في (1 - د) والاثنان قيمة حاصلة ينضاف إليها الواحد في (2 - د)، وكذا الوصول في النموذج (هـ) من المجموعتين ليس وصولا واحدا وإنما هو كائن من الواصلين بترتيبين متقابلين إن في الزمان والحدوث وإن في التصور من حيث المنظور الذي تنقل منه الواقعة. فالمذكور أولا يمثل العنصر البارز الظاهر ومحط العناية في المشهد فيرتد المذكور ثانيا إلى موقع دون ذلك الموقع. وعلى هذا تنقاس سائر المقابلات في ما سبق من النماذج. فالمذكور الأول في بنية العطف يمثل ما استحضرا أولا في إنتاج القول فهو من زاوية عرفانية سابق ينضاف إليه اللاحق. وإنما الاختلاف بين أدوات العطف في الوجه الذي به يكون ذلك اللاحق من حيث المسافة الفاصلة أو غيرها من وجوه التعالق الذي يكون بين العنصرين المجموعين في انتظام المجالات العرفانية.

والمهم أن بنية العطف مثل سائر الأبنية اللغوية خاضعة للاسترسال في المنشأ العصبي الذهني، هذا الاسترسال القائم في آن على التابع والخطية وعلى التزامن والتناسق في المعالجة استحضارا ونطقا. ولكنها متميزة منها بخصوصية تتمثل في اقترانها بمقولة الترتيب مضمونا عرفانياً تؤدبه من

جملة مضامين أخرى من قبيل الاتصال والانفصال والتّضيد قريبا وبعدا وما إلى ذلك. فما اعتبر أفقرَ وجوه الجمع دلالة على التّرتيب بل خلوا منه إنّما هو محكوم به لا ينفكّ عنه. وما الفارق بين وجه في الجمع وآخر منه إلّا في موقعه من الاسترسال المكوّن لفضاء الجمع كما بيّنا قبل هذا في التّمثيل (3). ولعلّ ما اعتبر غيابا للتّرتيب من | و | إنّما منشؤه كونها متضمّنة لجميع وجوه التّرتيب (15).

3 - في أصول الملكة اللّغويّة العرفانيّة :

يعتبر الإنسان منذ القديم متفرّدا باللّغة والعقل معا : فهو أوسع الكائنات ذكاء، وهو من تتوفّر عنده الملكة اللّغويّة فطريّا، وهو ذو مهارات في النطق والتّقطيع عالية، توازيها أو تفوقها طاقات هائلة في المعالجة الرّمزيّة. وكان لهذا التّفرد تفسّير عديدة مختلفة بعضها خرافيّ وبعضها دينيّ ماورائيّ. ولعلّ أكثر التّفسّير انتشارا وإقناعا ذاك القائم على فكرة التّطور. وفيه تصوّران نشونيّ وتكيّفيّ (تأقلميّ).

فحضور الملكة اللّغويّة عند البشر في الرّؤية التّطوريّة النّشويّة التقليديّة ناتج عن نشوء أقسام جديدة حادثة في دماغ البشر تنضاف إلي ما كان عنده وهو ما به يزيد حجمه وتزيد طاقته العرفانيّة تبعا لذلك. وقد بان قصور هذا التّفسير في مظاهر عديدة أهمّها غياب ما يمكن أن يثبت نشوء الجديد ينضاف إلى قديم في بقايا الجماجم المتحجّرة من البشر القديم، ومنها ما ثبت في التّشريح من قرابة وشبه بين الإنسان والقردة في طبيعة الخلايا والتّرابطات العصبيّة دون أن يؤدي ذلك إلى امتلاك اللّغة امتلاكا واحدا عندهما. كما ثبت أنّ النّشاط اللّغويّ تتوزّعه أبنية متنوّعة من الدّماغ، وإذ يكون ذلك ينتفي نشوء مراكز جديدة وينتفي اختصاصها بوظيفة حادثة.

(15) من قرائن ذلك ورود | و | دون سائر الأدوات في مواطن الانتقال بين الجمل في الخطب المرّجلة، لا رابطة بين جملة وأخرى الرّبط المعهود. وإنّما مألوفة فراغ صوتيّ (سببه انقطاع في سلسلة الأفكار أو تمهّل للعناية أو غير ذلك) في انتظار أن يتمّ استحضار عناصر القول اللّاحق في الدّماغ وإجهازا في الكلام. وهذه الظّاهرة ذات مظهر عصبيّ عرفانيّ يخرج بنا الخوض فيه عن مشغلنا في هذا.

ويقوم التفسير التطوري التكيفي (التأقلمي) على نوع من التحوير في الأعضاء المتوقرة من حيث بنيتها ووظيفتها. فالملكة اللغوية لم تحدث عند البشر بتغير كلي وإنما حدثت بتحويرات وتكيفات على غاية من اللطافة والدقة في أبنية الدماغ البشري الأول : فتكيف الأعصاب في الدماغ لوظيفة اللغة لم يكن مفاجئا ولم يكن من جزء يتكيف معزولا عن الآخر وإنما كان بتكيفات جزئية متوازية متلاحقة بما فيها تكيفات أجهزة السمع والنطق والتقطيع من حيث الوظيفة والاختصاص، وما يصحب ذلك من تفاعلات اجتماعية تواصلية ورمزية علانقية يقتضيها العيش في المجموعة.

مظاهر التكيف، تكيف الدماغ لوظيفة اللغة والعرفان، عديدة. من أهمها توزع النشاط العصبي اللغوي على أراضيات عصبية في الدماغ تختلف اختلافا كبيرا عن الأراضيات التي تتركز عليها وسائل التواصل غير اللغوية من قبيل أصوات الضحك وأصوات البكاء وما شاكلها. كما يمثل التفاوت بين أقسام الدماغ في الحجم وتفوق الغشاء مثلا على المخ والمخيخ، يمثل دليلا على تطور البنية وفق ما تقتضيه الأنشطة اللغوية. فعمليات النطق تقتضي تشغيل العضلات المساهمة في النطق والتصويت تشغيلًا دقيقًا منتظما يقتضي من المراكز المتحكممة في ذلك التشغيل درجة عالية من الاختصاص والدقة في البنية وفي الوظيفة.

ويقرن الكثير من الباحثين بؤادر التكيفات في أبنية الدماغ البشري لوظيفتي اللغة والعرفان ببداية العصور الحجرية منذ مليوني عام. فبنية الدماغ مرتبطة باللغات منذ أمد بعيد في تطور متواصل أساسه التفاعل بينهما يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به (Deacon,1998,217).

ومن منطلق آخر، يطرح شومسكي الموضوع الأساسي في البحث اللساني من موقع العناية باللغة ملكة عرفانية أو نظاما عرفانيا من جملة الملكات أو النظم المكوّنة للعرفان عند الإنسان.

فالذهن/الدماغ mind/brain نظام معقد من مكونات مختلفة عديدة متفاعلة تمثل الملكة اللغوية واحدة منها. يتوقر هذا النظام المعقد عند الإنسان مشتركا بين بني الجنس، دون سائر الكائنات. ويتمثل اشتغال

الملكمة اللغوية في عدد من الآليات الكبرى بتوفر شروط وعلى مراحل
يجملها التمثيل التالي (Chomsky, 1988) :

المعطيات ← الملكمة اللغوية ← اللغة ← عبارات ذات بنية (16)

تتوفر الملكمة اللغوية توفراً ما قبلياً - فطرياً - عند الإنسان، يولد
الفرد مجهزاً بها. فإذا ما كان له أن يعيش في وسط اجتماعي تجري
فيه لغة مخصوصة (العربية مثلاً) تنتقي الملكمة اللغوية المعطيات المفيدة من
الأحداث الجارية في محيطه ذلك. وإذا استعمل الطفل تلك المعطيات
مستجيباً لمقتضيات بنيتها الكامنة فيها يبني ذلك الطفل لغة (هي العربية
في مثالنا أو بعبارة أدقّ يبني لهجة عربية مخصوصة هي لغة المحيط
الاجتماعي الذي ينشأ فيه). فتحصل حينئذ تلك اللغة في الذهن وتستوي
الملكمة لغة. وباكتمال مرحلة الاكتساب واستكمال المهارات اللغوية عند ذلك
الطفل تبلغ الملكمة اللغوية مرحلة النضج. ويمثل هذا الطور طور الفهم
والتكلم الوافين. وفي ذات الوقت يكون الفرد قد اكتسب نظاماً معرفية
أخرى فتستوي اللغة في هذا الطور واحدة من النظم العرفانية عنده.

ولئن كانت نتائج الأبحاث التشريحية العصبية التطورية في مستوى
الجنس البشري والمقارنة بين الأجناس المتقاربة مفيدة من حيث تقرّب مبدأ
الحدوث في الوظيفة اللغوية وكانت نتائج الأبحاث اللسانية في مستوى
تجليات الملكمة اللغوية تجلياً نوعياً و/أو فردياً، لئن كانت جميعها ثابتة في
ذاتها وذات طاقة تفسيرية عالية ومتكاملة في آن، يظلّ الرابطة بينها وإهيا
إن لم يكن معدوماً.

فالتشريح يشتغل على أعضاء يصف مكوناتها ووظائفها
الفيزيولوجية بتجلياتها الكيمياءية وتفلت منه الوظيفة الرمزية تبعاً لقيامه
على تحليل الملاحظ المحسوس. فالمقارنة التطورية "الزمانية" بين دماغ أو
جمجمة متحجرة تعود إلى شبيه الإنسان الأول ودماغ الإنسان الحاليّ

(16) DATA ⇒ language faculty ⇒ language ⇒ structured expressions.

وما بينهما من الأنماط الجمجمية المتعاقبة المتزامنة في سلم التكوين قد تعين على إثبات التطور وحدث الملكة العرفانية عامة والملكة اللغوية بالاستتباع. تكتمل تلك الواجهة بما يكون من مقارنة " آنية " بين أدمغة الأنواع المتقاربة من بشر وقردة وما عداهما في أطوار تكونها الجيني والجيني من حيث مثل أبسطها بوظائفه البسطى نموذجاً حياً من شكل قديم مشترك اندثر عند الإنسان بحكم التغيير الحادث في اتجاه التعقيد والترتب.

والفرضيات اللسانية وما شاكلها من الفرضيات النفسية تسلك تقريبا النهج نفسه باحثة عن مراحل التكوين في الملكة اللغوية وسائر الملكات الرمزية في مستوى الفرد ممثلاً للنوع البشري ومختصراً للمراحل التي امتدت على زمان طويل. ومنطلق هذه الفرضيات ملاحظة الظواهر السطحية التي تمثل تجليات لتلك الملكات من أنشطة لغوية تواصلية يلبسها الكثير من مظاهر التفاعل الاجتماعي.

فحال التشريح وحال اللسانيات في هذا الشأن واحد :

منطلق التشريح وصف بنية العضو (الدماغ) ووظائفه. يصف البنية بمكوناتها ووظائفها الفيزيائية الفيزيولوجية فيستقيم وصفه وثبت نتائجه، وطموحه أن يستكمل الوظيفة الرمزية. ومنطلق اللسانيات وصف بنية لغوية ذات بعد مادي فيزيائي، يصفها بمكوناتها فيستقيم وصفه، وطموحه أن يقف على خصائص الجهاز المنتج لها والكامن في الدماغ. فما يفت من علوم الدماغ واللسانيات إفلاتا واحدا هو الوظيفة الرمزية. تفت من الواحد نوعاً من الإفلات يختلف عنه في قرينه. ولذلك وجب أن يسعى علم الدماغ إلى الاستعانة باللسانيات وتسعى هذه إلى الاستعانة بنتائج ذلك. ينتج حينئذ مجال للتقاطع القائم على تقارع، فتثبت نتائج هذا بحقائق ذلك وتتفي بانتفانها. ولعل هذا الموقف هو الموقف الأساسي في نشأة علوم العرفان. نوجز هذا في ما يلي :

اللسانيات		علم الدماغ
البنية اللغوية	⇒ الملكة العرفانية الوظيفة الرمزية	⇐ بنية الدماغ

3-1 - في اقتران الحيز الشفوي وتخومه بمقولة الجمع؛ فرضية في نشأة المقولة وتبلورها :

قادنا النظر في المعجم العربيّ مكوّنا من مكونات النحو (الزناد 1998) إلى تسطير عدد من المبادئ ذات الصلة بمبحثنا في هذا المقال وجبت الإشارة إليها تمهيدا لفرضية نقيمها في شأن مقولة الجمع بنية ودلالة.

فأبرز تلك المبادئ :

- الأصول الحرفية في العربية أحادية وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية.

- الأصول الأحادية مادة حرفية تجري في تكوين حروف المعاني وما شاكلها في السلوك التحوي من الأسماء المبنية والظروف وأسماء الأفعال وصرافم الاشتقاق والتّصريف. تجري هذه الحروف الأدوات مستقلة في الأبنية التحوية بسيطة و/أو مركبة كما تجري في أبنية الاشتقاق الفعلية وما اتصل بها من الأسماء.

- تعود الأصول الأحادية مجموعات أو فرادى إلى أحياز نطقية تبين اللغة عن اختصاص الواحد منها بالتعبير عن مقولة أولية تتفرّعها مقولات ومفاهيم فرعية تنتظمها علاقات متنوعة متداخلة.

فالأصول الأسنانية مختصة بالإشارة التعيينية في شكل أسماء الإشارة أو الضمائر التي تعين مرجعها من حيث حضوره في مجال التخاطب. ويأخذ هذا الحضور شكلين : حضورا في المركز (أنا، نحن) أو إشارة إلى

المركز نفسه مكانا أو زمانا في الـ | هنا | والـ | أن |، ويذهب ذلك متدرّجا إلى التجريد في أقصاه متمثلا في اقتران | إن | بالشرط. ومن مقولة الحضور هذه تنسلخ دلالة الصّرفم الاشتقاقيّ | نـ | جاريا في صيغ الانعكاس من قبيل | انفعل | وما شاكلها. أمّا الشّكل الآخر في الحضور فيكون في تعيين المشارك في عملية التفاعل بما فيها التّخاطب، حاضرا في مجال الإدراك. يقترن هذا الشّكل بما يكون منه أسماء الإشارة إلى الأعيان من الأشخاص والأشياء في الضّمائر و/أو أسماء الإشارة. وذلك من قبيل | تـ | الجارية في الضّمائر والإشارة و | ذـ | و | ثـ | في الإشارة وما يتجرّد منها من مقولات مثل الظرفيّة الشرطيّة في | إذا | و | إذن | وغيرها أو التّشارك والانعكاس في صيغ الاشتقاق من قبيل | تفاعل | و | افتعل | وغير ذلك كثير (17).

والأصول الخلفيّة (الحنكيّة والحلقية) مختصة بالإشارة إلى المحايد أي ما لا يتصوّر مشاركا رأسا في مجال التفاعل من ذلك ما تقترن به | هـ | - تمثيلا لا حصرا من إشارة إلى الثالث المحايد شخصا كان أو شيئا (هذا، هؤلاء، هنا...)، غائبا (هو، هي، هما...) أو في عداد الغائبين (ها، هنا، هذا، هؤلاء). والأصول الأحاديّة الشّفوية الفموية مختصة بمقولة الجمع.

من الثابت أنّ الإشارة التّعينيّة تمثّل أصلا في الإحالة اللغوية، حيث بات من المسلّمات أنّ الإحالة على الأشياء والأحداث كانت في البدايات تجري بالوحدات اللغوية الإشاريّة زمن القول (Lyons, 1975, 1977). فيكون الاقتران الرّاسي بين العلامة ومرجعها. ويتجلّى هذا الأمر في الاكتساب اللغويّ أيضا، إذ ثبت أنّ العناصر الإشاريّة من قبيل | هذا | و | ذاك | و | هنا | و | هناك | تتواتر في الكلمات الخمسين الأوائل إن لم تكن في العشر الأوائل من رصيد الكلمات التي يكتسبها الأطفال، وترد

(17) من ذلك أنّ تاء القسم تعود إلى الإشارة التّعينيّة deixis كما تتجلّى في أسماء الإشارة وفي ضمائر الخطاب مثلا، وإذ تجري في طقوس القسم بمراسم محدّدة يكون المقسم به حاضر موجه للحالف مواجهة المخاطب للمتكلّم انسلخت من منظومة الإشارة المعهودة فلزمت بنية مخصوصة اختصاص المعاني الإنشائيّة بأبنيّتها.

بتواتر في جملهم الثنائية الكلمات حيث تجري الإشارة وتسمية الأشياء للتعبير عن مختلف المعاني من طلب وإخبار وغير ذلك من المعاني (Nelson,1973) (8¹). وهذا ما يجعل من تأصل الإشارة في اللغات ظاهرة كونية.

فإذا كان ذلك، أمكن لنا أن نفترض أن الإشارة بنوعها إلى الحاضر في مجال الإدراك وإلى المحايد، سابقة في التصور وفي الوجود. وإذا تقترن هذه الإشارة بالأصول الأسنائية والأصول الحنكية والحلقية نفترض أن هذه الأحياء قد شغلت بها. وإذا كانت مقولة الجمع والعلاقات بين الأشياء، على درجة من التجريد تجعلها حادثة في التصور بعد الإشارة المعينة للأشياء، فإنها تقترن بالحيّز الشفويّ بحكم "الفراغ" أو الشغور فيه.

فضاء النطق أمكنة تحدث عندها الأصوات يوافقها فضاء دلاليّ ذهنيّ تحدث فيه المعاني والمقولات. يكون الاقتران الاعتباطيّ بين معنى ما وصوت ما من حيّز ما ثمّ عن طريق الانتشارتتسع الدائرة على استرسال إلى أن تبلغ درجة التشبع بأن تُستوفى مواضع الأصوات في الحيّز الواحد يقارنها استيفاء لمفاصل المعنى ودقائقه. ويحدث أن تقترن الأصوات الواردة في تخوم الحيّز الواحد بمظهر من مظاهر الدلالة المتأصلة في الحيّز المجاور ولكنها موافقة لما بين الحيّزين من اتصال نطقيّ ميكانيكيّ يوافق اتصال دلاليّ، كما نعرض بعد هذا. ويكون التركيب بين الأصوات للتركيب بين المعاني، ويكون شحن البنية الصوتية الواحدة بالمعاني المتعددة ذات الصلات الرابطة بينها في حقل دلاليّ أو مقوليّ.

فالحيّز الشفويّ مقترن بمقولة الجمع إزاء الحيّز الأسنائيّ المختصّ بالإشارة التعيينية إلى الحاضر في مجال الإدراك والتفاعل. ولكن كيف نشأ هذا التخصص وما مراحل "الاستيطان" التي كانت فيه ؟

(18) نقلا عن Roger Wales 1986 ص 402 وما يليها.

لعلّ أيسر سبيل في مثل هذا العمل التحليلي البدء بالبسيط فالتدرج إلى المركّب. ولعلّ ما يعتبر بسيطاً في المقولة اللغوية يمثّل منتهاها وأقصاها تركباً من حيث يجمع دقائق المركّب تنصهر فيه. فالمعطيات اللغوية التي وصلتنا إنّما هي وليدة تفاعل في التاريخ المديد. ولذلك نعدّ في ما يلي إلى عرض ما تتصوّره كأننا بين المقولات من تولّد وتفرّع وتركّب في مظهره الدلالي الصّرف يوازيه ما نقيمه على ذلك من تصوّر في التخصّص بين الأصوات الشّفوية الفموية لمقولة أو فرع منها بسيطاً كان أو مركّباً.

فإذا ما استعرضنا المقولات المقترنة بالأصول الشّفوية الفموية وجدنا مقولة | الإلصاق | المقترنة بالأصل الأحادي | ب | جامعة لسائر المقولات فيها. فيمكن اعتبارها حينئذ أمّ الباب ويمكن اعتبار | ب | أصلاً أوّل في الاعتبار. وإذا كان الإلصاق - جرياً على المفهوم النحوي العربيّ - متضمناً لمفهوم الاتصال مطلقاً أو ما أطلقنا عليه مفهوم | التّطابق | في التّمثيل (3) يحدث تمييز أوّل بين نوعين من الاتصال أو الجمع : جمع مطلق وجمع مقيد.

فمطلق الجمع مختصّ بـ | او | في مظهره متّصلاً في | و | ومنفصلاً في | أو |. أمّا الجمع المقيد فمتفرّع على أنواع القيد إلى جمع قائم على الظرفيّة في | في | وعلى تعاقب في | ف | وعلى تعاقب وتراخ في | ثم |. والجمع المطلق لم يتجاوز الحيز الشّفويّ في مظهره، إذ يجري فيهما الأصل الأحادي | و | متحقّقاً في | و | للاتّصال وفي | أو | للانفصال. يجري الأصل الواحد للتعبير عن مظهرين متقابلين في مقولة واحدة. فالجمع هنا هو مطلق العلاقة المجردة التي تكون بين عنصرين وهي لا تعدو أن تكون إمّا اتّصلاً وإمّا انفصلاً.

أمّا الجمع المقيد فحدث فيه نوع من "النزوح" إلى تخوم الحيز الشّفويّ وما وراءها في اتجاه المواقع الداخليّة في فضاء النطق. فالأصل الشّفويّ الأسنانيّ | ف | يجري في الجمع على الظرفيّة في | في | أوّلاً،

وفي الجمع المرتب على التعاقب ثانياً في [فـ] . يقوم هذا الافتراض على حضور الظرفية في [في] قسماً هاماً من دلالة [بـ] بالإضافة إلى شبه بينهما في حركة الكسرة وفي عمل الجرّ دليلاً على تعليق مخصوص في النظام النحويّ. فهما عنصران بديلان كما هو معلوم. أمّا الجمع المرتب على التعاقب فمقتض في التّصوّر للظرفية من حيث لا ترتب إلاّ في ظرف مكانيّ أو زمانيّ، ولنّ أمكن للتّرتيب أن يكون رياضياً مجرداً فصلته بالظرف لا تنقطع، وهذا أمر ثابت.

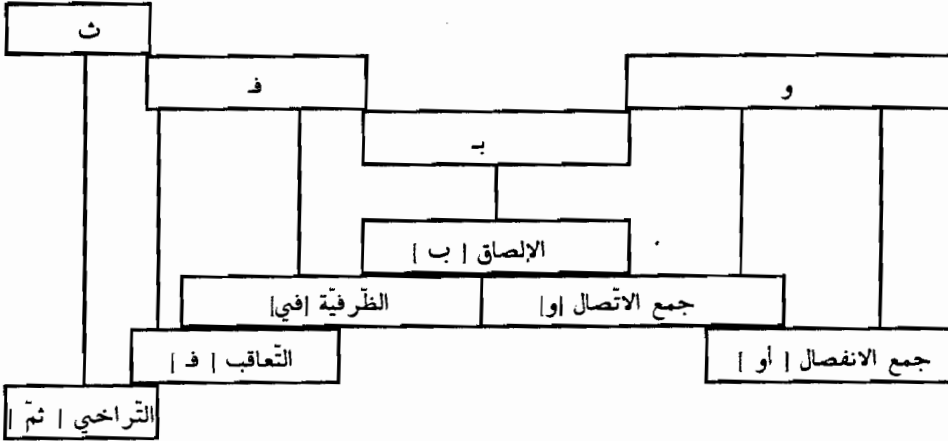
وإذ يقتضي تقييد الجمع بالتّرتب التّعبير عن مسافة ما بين العنصرين المجموعين المرتبين، كانت [فـ] للتّعبير عن الجمع المرتب بتعاقب. وإذ شغلت [فـ] بالتعاقب، وانعدمت أصول أحادية من حيّزها الشّفويّ الأسنانّي لجأ النّظام إلى أن يستعير من أقرب الأحياز ما به يكون التّعبير عن التّرتيب على تراخ. وأقرب الأحياز حيّز ما بين الأسنان حيث الثالوث (ث، ذ، ظ).

وحيّز ما بين الأسنان مشغول بالإشارة التّعينيّة إلى المكان في [ثمّ] و [حيث] وبالإشارة إلى الجثّة في [ذا] وما إليها. فكان أن صادف الإشارة إلى المكان البعيد في [ثمّ] . وفيها ضالّته : الظرفية والبعد. فتجرّدت [ثمّ] من مفهوم الإشارة إلى المكان لتحافظ على مفهوم البعد، هذا الذي تحوّل من بعد في المسافة بين المشير والموقع المشار إليه إلى بعد في التّصوّر والحدوث على ترتب وتعاقب فكان مفهوم التراخي. واقتضت الدّلالة الحادثة تغييراً في البنية ضمناً لتمييز المعاني فكانت [ثمّ] .

نوجز ما سبق من تحليل في ما يلي حيث التّناسب بين المظهر الصّوتيّ والمظهر الدّلاليّ على مستويات : عامّة ومخصوصة. فالأحياز الواردة في أعلى التّمثيل توافقها المقولات بفروعها في أسفل التّمثيل، ثمّ نشير إلى التّناسب بين الأصول الأحادية والمقولات، واحداً بواحدة، في قلب التّمثيل. كما يشير الاختلاف في المراتب الكائن في المقولات وفي الحروف واحداً بواحد إلى ما نتصوّره من أطوار مسترسلة مترامنة متداخلة في حدوث المقولة وتطورها كما عرضنا قبل هذا :

(6)

شفوي - أسناني	بين أسناني	شفوي	
ف	ث	ب	و



التراخي	التعاقب	الظرفية	الإصاق	الاتصال	الانفصال
الجمع المقيد			التطابق	الجمع المطلق	
مقولة الجمع					

الخاتمة :

تناولنا في هذا المقال بعض المظاهر المتأصلة في مقولة الجمع من حيث كونها فضاء عرفانياً تنتظمه جهات مسترسلة ومن حيث اختصاص الأصول الشفوية وما تاخمها في التعبير عنها. وهذه فرضية في انتظامها الآني. كما أقمنا فرضية تنطلق من هذا الواقع لتبحث في أصول النشأة والتكوين ترفدها في ذلك حقائق ثابتة في المباحث التطورية بفروعها العصبية العرفانية واللسانية.

ولعلّ مثل هذا المقال يضيق عن استيفاء مظاهر الانتظام في مقولة الجمع كلّها لذلك اكتفينا بالنظر في ما به تكون أدوات الجمع آلية من آليات المسح في (2.1) مستفيدين من نظرية النحو العرفاني كما

المراجع :

أ - العربية :

- الزّناد (الأزهر) : 1993 نسيج النّص، بحث في ما به يكون الملفوظ نصّا المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 1998 المعجم في اللّغة العربيّة : تولّده وعلاقته بالتركيب، أطروحة دكتورا الدّولة، مرقون، كلىة الآداب بمنّوبة.

ب - الأجنبيّة :

- Bock, K. and Garnsey, S. M. 1998 : Language processing, in A Companion to Cognitive Science, edited by William Bechtel and George Graham, blackwell publishers, 226-234
- Bolinger, D. 1965 : The Atomization of Meaning. Language 41, 555-573.
- Chomsky, N. 1988 : Language and Problems of Knowledge, The Managua Lectures, Cambridge, Mass. The MIT Press.
- Chomsky, N. and Halle M. 1968 : The Sound Pattern of English, New york, Harper and Row.
- Deacon, T. W. 1997 : The Symbolic Species: The Coevolution of Language and the Brain. New York: W.W. Norton, Inc.
- Deacon, T.W. 1998 : Language Evolution and Neuromechanisms, in A Companion to Cognitive Science, edited by William Bechtel and George Graham, Blackwell publishers, 212-225.
- De La Lastra C.R. & Vives M.G. 1981: Les réflexes linguistiques, trad. de l'Espagnol par Arturo Gonzales-Rivero, P U F.
- Fauconnier, G. 1985: Mental spaces : Aspects of Meaning Construction in Natural Language, Cambridge, Mass: MIT Press.
- 1988 : Quantifiers, Roles, and Domains. In Umberto Eco, Marco Santambrogio, and Patricia Violi (eds.), Meaning and Mental Representation, 61-80, Bloomington, Ind. : Indiana University Press.

- Fauconnier, G. and Eve Sweetser - 1996 : Cognitive Links and Domains, in Gilles Fauconnier, and Eve Sweetser (eds.) : Spaces, Worlds, and Grammar, The University of Chicago Press, 1-28.
- Jackendoff, R. 1987 : Consciousness and the Computational Mind. MIT.
- 1992 : Languages of the Mind, Essays on Mental Representation, MIT.
- Lakoff, G. 1987 : Women, Fire and Dangerous Things. Chicago : University of Chicago Press.
- Langacker W. Ronald 1982 : Space Grammar, analysability and the English passive, Language, 58, 22-80.
- 1986 : Abstract Motion, Proceedings of the Annual Meeting of the Berkley Linguistic Society, 12, 455-471.
 - 1987 : Foundations of Cognitive Grammar, Vol1: Theoretical Prerequisites, California, Stanford University Press.
 - 1991 : Cognitive Grammar, in: Linguistic Theory and Grammatical Description, edited by: Flip G. Droste and John E. Joseph, Benjamins, 274-306.
- Lieberman, A. and Prince A. 1977 : On Stress and Linguistic Rythm. Linguistic Inquiry 8.2, 249-336.
- Lyons, J. 1975 : Deixis as the source of reference, In E. Keenan (ed.) Formal Semantics of Natural Language. London, Cambridge University Press.
- 1977 : Semantics, 2 vols. Cambridge, Cambridge University Press.
- Marr, D. 1982 : Vision, San Fransisco; Freeman.
- Miller, G. and P. Johnson-Laird 1976 : Language and Perception. Cambridge, Mass. Harvard University Press.
- Talmy L. 2000 : Toward a Cognitive Semantics, Mass. The MIT Press.
- Van Turenout M., Hagoort P. and Brown. C. M. 1997:

- Electrophysiological evidence on the time course of the semantic and phonological processes in speech production. *Journal of Experimental Psychology : Learning, Memory and Cognition*, 23, 787-806.
- Vigliocco, G., Antoni, T. and Garrett, M.F. 1997 : Grammatical gender is on the tip of Italian tongues, *Psychological Science*, 8, 314-317.
- Wales, R. 1986 : Deixis, in Paul Fletcher and Michael Garman (ed.): *Language Acquisition, Studies in First Language Development*, Cambridge, Cambridge University Press. p.p. 401-428.
- Weinreich, U. 1966 : *Explorations in Semantic Theory*. In T. Sebeok (edr), *Current Trends in Linguistics*, vol.3. The Hague Mouton. Reprinted in *On Semantics*, 99-201. Philadelphia: University of Pennsylvania Press (1980).